تعامل النبي ﷺ مع خواصِّ أصحابه

مكانة الصحابةِ في الإسلامِ لا تخفى، فهم أبرُّ هذه الأمةِ قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلّفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيّه، وإقامة دينه.

وقد أثنى الله عليهم في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ولقد كان الصحابةُ على درجاتٍ متفاوتةٍ من الصحبة، كما قال شيخ الإسلام: «الصحبةُ اسمُ جنسٍ، تقع على من صحبَ النبي ﷺ قليلاً أو كثيراً. لكن كلٌّ منهم له من الصحبة بقدرِ ذلك، فمن صحبهُ سنةً، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعةً، أو رآه مؤمناً، فله من الصّحبة بقدر ذلك»[(١)].

وموضوعنا سيكون عن تعامل النبيِّ ﷺ مع خواصِّ أصحابه الملازمين له.

ومن أبرز هؤلاء: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبد الرحمن بن عوف.

وأخصّهم بالنبي ﷺ: أبو بكر، وعمر.

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ: «كنتُ كثيراً أسمعُ النّبيَّ ﷺ يقولُ: ذهبتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، ودخلتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، وخرجتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية [٤ / ٤٦٤].

(٢) رواه البخاري [٣٦٨٥] ومسلم [٢٣٨٩].

فكان ﷺ يعلن حبّه لهم ويظهره في الناس:

عن عمرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النّبيَّ ﷺ بعثهُ على جيشِ ذاتِ السّلاسلِ، فأتيتهُ فقلتُ: أيُّ النّاسِ أحبُّ إليكَ؟

قالَ: «**عائشةُ**».

فقلتُ: منْ الرّجالِ؟

فقالَ: «**أبوها**».

قلتُ: ثمَّ منْ؟

قالَ: «**ثمَّ عمرُ بنُ الخطّابِ**»(١).

قال القرطبي: «فيه: جوازُ ذكرِ الأحبِّ من النساء والرجالِ، وأنه لا يعابُ على من فعله إذا كان المقولُ له من أهل الخيرِ والدينِ.

وإنما بدأ بذكر محبته عائشة؛ لأنها محبّةٌ جبلّيّةٌ ودينيّةٌ، وغيرها دينيّةٌ لا جبلّيّةٌ، فسبق الأصلُ على الطارئِ».

فقيل له: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها**»؛ لسابقته في الإسلامِ، ونصحه لله تعالى ورسوله، وللإسلام وأهله، وبذلِ ماله، ونفسه في رضاهما»(٢).

ولا يرضى من أحدٍ أن يتكلم فيهم بسوء:

عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كانَ بينَ خالدِ بنِ الوليدِ، وبينَ عبدِ الرّحمنِ بنِ عوفٍ شيءٌ، فسبّهُ خالدٌ(٣).

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا تسبّوا أصحابي، فلوْ أنَّ أحدكمْ أنفقَ مثلَ أحدٍ ذهباً ما بلغَ مدَّ أحدهمْ، ولا نصيفهُ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري [٣٦٦٢]، ومسلم [٢٣٨٤].

(٢) المفهم [٩/ ٧١]، فيض القدير [١/ ٢١٨].

(٣) وفي رواية عند أحمد [١٣٤٠٠]: كانَ بيَن خالدِ بنِ الوليدِ وبيَن عبدِ الرّحمنِ بنِ عوفٍ كلامٌ، فقالَ خالدٌ لعبدِ الرّحمنِ: تستطيلونَ علينا بأيّامٍ سبقتمونا بها، فبلغنا أنَّ ذلكَ ذكرَ للنّبيِّ ﷺ.

(٤) رواه البخاري [٣٦٧٣]، ومسلم [٢٥٤١].

المدُّ: مكيالٌ يقدّرُ بملءِ الكفّين، ويعادل ربع الصاع.

ومعناهُ: لـوْ أنفقَ أحدكمْ مثـل أحد ذهباً ما بلغَ ثوابه في ذلكَ ثـواب نفقة أحد أصحابي مدّاً، ولا نصف مدٍّ.

وسـببُ تفضيـل نفقتهـمْ أنّها كانتْ في وقت الـضّرورة وضيق الحـال، بخلافِ غيرهمْ، ولأنَّ إنفاقهـمْ كانَ في نصرتـه ﷺ وحمايتـه، وذلـكَ معـدوم بعـده، وكذا جهادهمْ وسـائر طاعتهـمْ، وقـدْ قـالَ الله تعـالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [الحديد: ١٠].

وذلـكَ أنَّ الإنفـاق والقتال كانَ قبل فتح مكّة عظيماً لشـدّةِ الحاجة إليـهِ وقلّةِ المعتنى بهِ، بخلافِ ما وقعَ بعد ذلكَ؛ لأنَّ المسلمينَ كثروا بعد الفتح، ودخلَ النّاس في دين الله أفواجاً، فإنّهُ لا يقع ذلكَ الموقع المتقدّم.

هذا كلّه معَ ما كانَ في أنفسـهمْ منَ الشّـفقةِ، والتّودّدِ، والخشـوعِ، والتّواضعِ، والإيثارِ، والجهادِ في الله حقَّ جهاده.

وفضيلـةُ الصّحبـة، ولوْ لحظـة لا يوازيها عمـلٌ، ولا تنال درجتها بـشيءٍ، والفضائل لا تؤخذ بقياسٍ، ذلكَ فضل الله يؤتيه منْ يشاء[١].

والمـراد بقولـهِ «**أصحابي**» أصحابٌ مخصوصونَ، وهم منْ أسـلمَ قبـل الفتح ممنْ طالتْ صحبته، وقاتلَ معهُ، وأنفقَ وهاجرَ ونصرَ.

فالسابقونَ الأولون من المهاجرين والأنصار أفضلُ من سائر الصحابة.

ويدلُّ على ذلك أن المخاطب بذلكَ هو خالد بن الوليد وهوَ منْ الصّحابة الموجودينَ إذْ ذاكَ.

قال ابن حجر: «ومعَ ذلكَ فنهي بعض منْ أدركَ النّبيّ ﷺ وخاطبهُ بذلكَ عنْ سبّ منْ سبقهُ يقتضي زجر منْ لمْ يدرك النّبيَّ ﷺ ولمْ يخاطبهُ عنْ سبٍّ منْ سبقهُ منْ باب الأولى»[٢].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم [١٦/ ٣٩].

(٢) فتح الباري [٧/ ٣٤].

فـإذا كان هذا نهيه لخالدِ بن الوليد وأمثاله من مسـلمة الحديبيـة، فكيف يكونُ حالُ من ليس من أصحابه بحال مع أصحابه!!

قـال الإمـام النووي: «واعلمْ أنَّ سـبَّ الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حرامٌ مـنْ فواحش المحرّمات، سـواء منْ لابـسَ الفتن منهمْ وغـيره؛ لأنّهمْ مجتهـدونَ في تلكَ الحروب، متأوّلونَ، وسـبُّ أحدهمْ منَ المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنّهُ يعزّر، ولا يقتل.

وقالَ بعض المالكيّة: يقتل»[1].

قـال ابن كثير: «فقد أخـبر الله العظيمُ أنه قد رضي عن السـابقين الأولين من المهاجرين والأنصارِ، والذين اتبعوهم بإحسـان: فيا ويلَ من أبغضهم، أو سـبّهم، أو أبغضَ، أو سبَّ بعضهم، ولا سـيما سـيدُ الصحابـة بعدَ الرسـول ﷺ، وخيرهم وأفضلهم، أعنـي الصدّيقَ الأكـبرَ، والخليفةَ الأعظمَ أبـا بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن الطائفـة المخذولةَ من الرافضةِ يعـادون أفضـلَ الصحابةِ، ويبغضونهم ويسـبّونهم، عياذاً بالله من ذلـك، وهذا يدلُّ على أن عقولهم معكوسةٌ، وقلوبهم منكوسةٌ»[2].

كان النبـيُّ ﷺ يعرفُ لخواصِّ أصحابه مكانتهم وقدرهم، ويدعو الناس لإنزالهم المنزلةَ اللائقة بهم.

عـنْ أبي الـدّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كانـتْ بينَ أبي بكرٍ وعمرَ محاورةٌ، فأغضـبَ أبو بكرٍ عمرَ، فانصرفَ عنهُ عمرُ مغضباً.

فاتّبعهُ أبو بكرٍ يسألهُ أنْ يستغفرَ لهُ، فلمْ يفعلْ، حتّى أغلقَ بابهُ في وجههِ.

فأقبلَ أبو بكرٍ إلى رسولِ الله ﷺ.

قالَ أبو الدّرداءِ: كنتُ جالساً عندَ النّبيِّ ﷺ إذْ أقبلَ أبو بكرٍ آخذاً بطرفِ ثوبهِ حتّى أبدى عنْ ركبتهِ.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم [١٦ / ٩٣].

(٢) تفسير ابن كثير [٤ / ٢٠٣].

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**أمّا صاحبكمْ، فقدْ غامرَ**»[١].

فسلّمَ، وقالَ: إنّي كانَ بيني وبينَ ابنِ الخطّابِ شيءٌ، فأسرعتُ إليهِ، ثمَّ ندمتُ، فسألتهُ أنْ يغفرَ لي، فأبى عليَّ.

فأقبلتُ إليكَ.

فقالَ: «**يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ، يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ، يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ**»، ثلاثاً.

ثمَّ إنَّ عمرَ ندمَ، فأتى منزلَ أبي بكرٍ فسألَ: أثّمَ أبو بكرٍ.

فقالوا: لا.

فأتى إلى النّبيِّ ﷺ فسلّمَ، فجعلَ وجهُ النّبيِّ ﷺ يتمعّرُ[٢].

حتّى أشفقَ أبو بكرٍ [أنْ يكون منْ رسول الله ﷺ إلى عمر ما يكره]، فجثا على ركبتيهِ.

فقالَ: يا رسولَ الله والله أنا كنتُ أظلمَ، والله أنا كنتُ أظلمَ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ بعثني إليكمْ فقلتمْ كذبتَ، وقالَ أبو بكرٍ صدقَ، وواساني بنفسهِ ومالهِ، فهلْ أنتمْ تاركوا لي صاحبي، فهلْ أنتمْ تاركوا لي صاحبي؟**».

فما أوذيَ بعدها[٣].

من فوائد الحديث:

فيه: فضل أبي بكر على جميع الصّحابة.

وفيه: أنَّ الفاضل لا ينبغي لهُ أنْ يغاضب منْ هوَ أفضل منهُ.

وفيهِ: جواز مدحُ المرءِ في وجهه، ومحلّه إذا أمنَ عليهِ الافتتان والاغترار.

وفيهِ: ما طبعَ عليهِ الإنسان منَ البشريّةِ حتّى يحملهُ الغضبُ على ارتكاب خلاف الأولى،

---

(١) أيْ خاصمَ، والمعنى دخلَ في غمرة الخصومة.

(٢) أيْ: تذهب نضارته منْ الغضب.

(٣) رواه البخاري [٣٦٦١].

لكنْ الفاضل في الدّين يسرع الرّجوع إلى الأولى كقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وفيهِ: أنَّ غير النّبيِّ ولوْ بلغَ منْ الفضل الغاية ليسَ بمعصومٍ.

وفيهِ: استحباب سؤال الاستغفار، والتّحلّل منَ المظلوم.

وفيهِ: أنَّ الرّكبة ليستْ عورةً[1].

وعن ربيعة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: إنَّ رسولَ الله** ﷺ **أعطاني أرضاً، وأعطاني أبو بكرٍ أرضاً.**

وجاءتِ الدّنيا فاختلفنا في عذقِ نخلةٍ.

فقلتُ أنا: هيَ في حدّي.

وقالَ أبو بكرٍ: هيَ في حدّي.

فكانَ بيني وبينَ أبي بكرٍ كلامٌ، فقالَ أبو بكرٍ كلمةً كرهها، وندمَ.

فقالَ لي: يا ربيعةُ ردَّ عليَّ مثلها، حتّى تكونَ قصاصاً.

قلتُ: لا أفعلُ.

فقالَ أبو بكرٍ: لتقولنَّ، أوْ لأستعدينَّ عليكَ رسولَ الله ﷺ.

فقلتُ: ما أنا بفاعلٍ.

ورفضَ الأرضَ، وانطلقَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النّبيِّ ﷺ، وانطلقتُ أتلوهُ.

فجاءَ ناسٌ منْ أسلمَ فقالوا لي: رحمَ الله أبا بكرٍ! في أيِّ شيءٍ يستعدي عليكَ رسولَ الله ﷺ، وهوَ قالَ لكَ ما قالَ؟!

فقلتُ: أتدرونَ ما هذا؟ هذا أبو بكرٍ الصّدّيقُ، هذا ثانيَ اثنينِ، وهذا ذو شيبةِ المسلمينَ، إيّاكمْ، لا يلتفتُ، فيراكمْ تنصروني عليهِ، فيغضبَ، فيأتيَ رسولَ الله ﷺ؛ فيغضبَ لغضبهِ، فيغضبَ الله عَزَّوَجَلَّ لغضبهما، فيهلكَ ربيعةَ.

---

(١) فتح الباري [٧/ ٢٦].

قالوا: ما تأمرنا؟

قالَ: ارجعوا.

فانطلقَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسولِ الله ﷺ، فتبعتهُ وحدي، حتّى أتى النّبيَّ ﷺ.

فحدّثهُ الحديثَ كما كانَ، فرفعَ إليَّ رأسهُ فقالَ: يا ربيعةُ ما لكَ وللصّدّيقِ؟

قلتُ: يا رسولَ الله كانَ كذا، كانَ كذا، قالَ لي كلمةً كرهها، فقالَ لي: قلْ كما قلتُ حتّى يكونَ قصاصاً، فأبيتُ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أجلْ، فلا تردَّ عليهِ، ولكنْ قلْ: غفرَ الله لكَ يا أبا بكرٍ**».

فقلتُ: غفرَ الله لكَ يا أبا بكرٍ.

فولّى أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهوَ يبكي[1].

وكان ﷺ يخصّهم بأشياءَ دون سائر أصحابه:

عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ قالَ: خطبَ النّبيُّ ﷺ في مرضه الّذي ماتَ فيهِ فقالَ: «**إنَّ الله خيّرَ عبداً بينَ أنْ يؤتيهُ زهرةَ الدّنيا، وبينَ ما عندهُ، فاختارَ ما عندَ الله**».

فبكى أبو بكرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبكى[2].

فقالَ: فديناكَ بآبائنا وأمّهاتنا.

فقلتُ في نفسي: ما يبكي هذا الشّيخَ، إنْ يكنِ الله خيّرَ عبداً بينَ الدّنيا، وبينَ ما عندهُ، فاختارَ ما عندَ الله.

فكانَ رسولُ الله ﷺ هوَ العبدَ، وكانَ أبو بكرٍ أعلمنا.

قالَ: «**يا أبا بكرٍ لا تبكِ، إنَّ أمنَّ النّاسِ عليَّ في صحبتهِ ومالهِ أبو بكرٍ**[3]. **ولوْ كنتُ متّخذاً**

---

(١) رواه أحمد [١٦١٤٣] وصححه الألباني في الصحيحة [٣٢٥٨].

(٢) معناهُ بكى كثيراً، وكأنَّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهمَ الرّمز الّذي أشارَ بهِ النّبيّ ﷺ منْ قرينة ذكره ذلكَ في مرض موته، فاستشعرَ منهُ أنّهُ أرادَ نفسه فلذلكَ بكى. فتح الباري [٧/ ١٢].

(٣) قوله: «أمنّ» أفعل تفضيل منْ المنّ بمعنى العطاء والبذل، بمعنى إنَّ أبذل النّاس لنفسهِ وماله، لا منْ المنّة الّتي تفسد الصّنيعة. فتح الباري [٧/ ١٣].

خليلاً منْ أمّتي لاتّخذتُ أبا بكرٍ، ولكنْ أخوّةُ الإسلامِ ومودّتهُ. لا يبقينَّ في المسجدِ بابٌ إلّا سدَّ، إلّا بابُ أبي بكرٍ»[1].

الخوخة: هيَ الباب الصّغير بين البيتينِ، أوِ الدّارينِ، ونحوه، والمعنى: لا تبقوا باباً غير مسدود إلّا باب أبي بكر فاتركوهُ بغيرِ سدٍّ.

وفي هذا الحديث فضيلة وخصّيصة ظاهرة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقدْ ذكرَ عمر بن شبّة في «أخبار المدينة» أنَّ دارَ أبي بكر الّتي أذنَ لهُ في إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانتْ ملاصقةً للمسجدِ، ولمْ تزلْ بيدِ أبي بكر حتّى احتاجَ إلى شيء يعطيه لبعضِ منْ وفدَ عليهِ، فباعها، فاشترتها منهُ حفصة أمّ المؤمنينَ بأربعةِ آلاف درهم، فلمْ تزلْ بيدها إلى أنْ أرادوا توسيع المسجد في خلافة عثمان، فطلبوها منها؛ ليوسّعوا بها المسجد، فامتنعتْ وقالتْ: كيف بطريقي إلى المسجد؟ فقيلَ لها نعطيك داراً أوسعَ منها ونجعل لك طريقاً مثلها، فسلّمتْ ورضيتْ[2].

من فوائد الحديث:

فيه: فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصّدّيق، وأنّهُ كانَ متأهّلاً لأنْ يتّخذهُ النّبيّ ﷺ خليلاً.

وفيهِ: شكر المحسن والتّنويه بفضلهِ والثّناء عليهِ.

وفيهِ: أنَّ المساجد تصانُ عنْ تطرّق النّاس إليها في خوخات ونحوها إلّا منْ أبوابها، إلّا لحاجةٍ مهمّةٍ[3].

وكان ﷺ يحتملُ منهم ما لا يحتملُ من غيرهم:

عنْ عمرَ بنِ الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّهُ قالَ: لمّا ماتَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ ابنُ سلولَ دعيَ لهُ

(١) رواه البخاري [٣٩٠٤]، ومسلم [٢٣٨٢]. وفي رواية لهما: لا تبقينَّ في المسجدِ خوخةٌ إلاّ خوخةَ أبي بكرٍ

(٢) فتح الباري [٧/ ١٤].

(٣) فتح الباري [٧/ ١٤]، شرح النووي على صحيح مسلم [١٥/ ١٥٢].

رسولُ الله ﷺ ليصلّيَ عليهِ فلمّا قامَ رسولُ الله ﷺ وثبتُ إليهِ، فقلتُ: يا رسولَ الله أتصلّي على ابنِ أبيٍّ، وقدْ قالَ يومَ كذا وكذا: كذا وكذا!! أعدّدُ عليهِ قولهُ[١].

فتبسّمَ رسولُ الله ﷺ وقالَ: «**أخّرْ عنّي يا عمرُ**».

فلمّا أكثرتُ عليهِ قالَ: «**إنّي خيّرتُ، فاخترتُ، لوْ أعلمُ أنّي إنْ زدتُ على السّبعينَ يغفرُ لهُ لزدتُ عليها**».

قالَ: فصلّى عليهِ رسولُ الله ﷺ، ثمَّ انصرفَ.

فلمْ يمكثْ إلّا يسيراً حتّى نزلتِ الآيتانِ منْ براءةٌ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

قالَ: فعجبتُ بعدُ منْ جرأتي على رسولِ الله ﷺ يومئذٍ، واللهُ ورسولهُ أعلمُ[٢].

فقد احتملَ منهُ النّبيّ ﷺ أخذهُ بثوبهِ ومخاطبته لهُ في مثل ذلكَ المقام، حتّى التفتَ إليهِ متبسّماً[٣].

فائدة: قالَ الخطّابيُّ: «إنّما فعلَ النّبيُّ ﷺ معَ عبد الله بن أبيٍّ ما فعلَ؛ لكمالِ شفقته على منْ تعلّقَ بطرفٍ منَ الدّين، ولتطييبِ قلبِ ولده عبد الله الرّجل الصّالح، ولتألّفِ قومه منَ الخزرج لرياستهِ فيهمْ.

فلوْ لمْ يجبْ سؤال ابنه، وتركَ الصّلاة عليهِ قبلَ ورود النّهي الصّريحِ؛ لكانَ سبّةً على ابنه وعاراً على قومه، فاستعملَ أحسن الأمرينِ في السّياسة إلى أنْ نهيَ فانتهى»[٤].

من فوائد الحديث:

فيه: بيانُ عظيم مكارم أخلاقِ النّبيِّ ﷺ؛ فقدْ علمَ ما كانَ منْ هذا المنافق منَ الإيذاء،

---

(١) وفي رواية: «فأخذَ عمرُ بنُ الخطّابِ بثوبهِ فقالَ: تصلّي عليهِ وهوَ منافقٌ وقدْ نهاكَ الله أنْ تستغفرَ لهمْ؟».

(٢) رواه البخاري [١٣٦٦] ومسلم [٢٤٠٠].

(٣) فتح الباري [٨/ ٣٣٥].

(٤) فتح الباري [٨/ ٣٣٦].

وقابلهُ بالحسنى، فألبسهُ قميصه كفناً، وصلّى عليهِ، واستغفرَ لهُ. قالَ الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وفيهِ: تحريم الصّلاة على من مات كافراً، والدّعاء لهُ بالمغفرةِ، والقيام على قبره للدّعاءِ[١].

وكان يعتمد على بعضهم في أموره الخاصّة:

فكان ﷺ يعتمدُ على بلال بن رباح وهو من السابقين إلى الإسلام في تدبير أمور نفقته.

عن عبدِ الله الهوزنيُّ قالَ: لقيتُ بلالاً مؤذّنَ رسولِ الله ﷺ بحلبَ.

فقلتُ: يا بلالُ حدّثني كيفَ كانتْ نفقةُ رسولِ الله ﷺ؟

قالَ: ما كانَ لهُ شيءٌ إلاَّ أنا الّذي كنتُ ألي ذلكَ منهُ، منذُ بعثهُ الله إلى أنْ توفّيَ[٢].

وكانَ إذا أتاهُ الإنسانُ مسلماً، فرآهُ عارياً، يأمرني فأنطلقُ فأستقرضُ، فأشتري لهُ البردةَ فأكسوهُ وأطعمهُ.

حتّى اعترضني رجلٌ منَ المشركينَ فقالَ: يا بلالُ، إنَّ عندي سعةً، فلا تستقرضْ منْ أحدٍ إلّا منّي.

ففعلتُ.

فلمّا أنْ كانَ ذاتَ يومٍ، توضّأتُ، ثمَّ قمتُ لأؤذّنَ بالصّلاةِ، فإذا المشركُ قدْ أقبلَ في عصابةٍ منَ التّجّارِ.

فلمّا أنْ رآني قالَ: يا حبشيُّ.

قلتُ: يا لبّاهُ[٣].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم [١٥/ ١٦٧].

(٢) أيْ أنا الذي أتولّى أمر النّفقة منْ النّبيّ ﷺ.

(٣) أيْ لبّيكَ.

فتجهّمني[١]، وقالَ لي قولًا غليظاً.

وقالَ لي: أتدري كمْ بينكَ وبينَ الشّهرِ؟

قلتُ: قريبٌ.

قالَ: إنّما بينكَ وبينهُ أربعٌ، فآخذكَ بالّذي عليكَ[٢]، فإنيّ لَمْ أعطكَ الذي أعطيتكَ منْ كرامتكَ، ولاَ منْ كرامةِ صاحبكَ، ولكنْ أعطيتكَ؛ لتجبَ لى عبداً، فأردّكَ ترعى الغنمَ كما كنتَ قبلَ ذلكَ.

فأخذَ في نفسي ما يأخذُ في أنفسِ النّاسِ[٣].

حتّى إذا صلّيتُ العتمةَ رجعَ رسولُ الله ﷺ إلى أهلهِ، فاستأذنتُ عليهِ، فأذنَ لي.

فقلتُ: يا رسولَ الله بأبي أنتَ وأمّي، إنَّ المشركَ الّذي كنتُ أتديّنُ منهُ، قالَ لي كذا وكذا، وليسَ عندكَ ما تقضي عنّي ولا عندي، وهوَ فاضحي، فأذنْ لي أنْ آتىَ بعض هؤلاءِ الأحياءِ الّذينَ قدْ أسلموا، حتّى يرزقَ الله رسولهُ ﷺ ما يقضي عنّي.

فخرجتُ حتّى إذا أتيتُ منزلي، فجعلتُ سيفي وجرابي ونعلي ومجنّي عندَ رأسي[٤].

واستقبلتُ بوجهيَ الأفقَ، فكلّما نمتُ انتبهتُ، فإذا رأيتُ عليَّ ليلاً نمتُ، حتّى إذا انشقَّ عمودُ الصّبحِ الأوّلِ[٥]، أردتُ أنْ أنطلقَ، فإذا إنسانٌ يسعى يدعو: يا بلالُ، أجبْ رسولَ الله ﷺ.

فانطلقتُ حتّى أتيتهُ.

فإذا أربعُ ركائبَ مناخاتٌ عليهنَّ أحمالهنَّ[٦].

---

(١) أيْ: تلقّاني بوجهٍ كريه.

(٢) أيْ آخذك على رأس الشّهر في مقابلة ما عليك منَ المال، وأتخّذكَ عبداً في مقابلة ذلكَ المال.

(٣) أيْ منَ الهمّ.

(٤) الجراب: وعاء منْ جلد، والمجنّ: الترّس.

(٥) أيِ: العمود المستطيل المرتفع في السّماء، وهوَ الصّبح الكاذب.

(٦) ركائبَ: جمع ركوبة وهوَ ما يركب عليهِ منْ كلّ دابّة.

فاستأذنتُ.

فقالَ لي رسولُ الله ﷺ: «**أبشرْ، فقدْ جاءكَ الله بقضائكَ**».

فحمدتُ اللهَ.

ثمَّ قالَ: «**ألمْ ترَ الرّكائبَ المناخاتِ الأربعَ؟**». فقلتُ: بلى.

فقالَ: «**إنَّ لكَ رقابهنَّ وما عليهنَّ، فإنَّ عليهنَّ كسوةً وطعاماً أهداهنَّ إليَّ عظيمُ فدكَ، فاقبضهنَّ واقضِ دينكَ**».

ففعلتُ، فحططتُ عنهنَّ أحمالهنَّ، ثمَّ عقلتهنَّ[1]، ثمَّ عمدتُ إلى تأذينِ صلاةِ الصّبحِ، حتّى إذا صلّى رسولُ الله ﷺ خرجتُ إلى البقيعِ، فجعلتُ إصبعيَّ في أذنيَّ فناديتُ، وقلتُ: منْ كانَ يطلبُ رسولَ الله ﷺ ديناً؛ فليحضرْ.

فما زلتُ أبيعُ، وأقضي، وأعرّضُ، وأقضي، حتّى لمْ يبقَ على رسولِ الله ﷺ دينٌ في الأرضِ.

حتّى فضلَ عندي أوقيّتانِ، أوْ أوقيّةٌ ونصفٌ.

ثمَّ انطلقتُ إلى المسجدِ، وقدْ ذهبَ عامّةُ النّهارِ، فإذا رسولُ الله ﷺ قاعدٌ في المسجدِ وحدهُ، فسلّمتُ عليهِ.

فقالَ لي: «**ما فعلَ ما قبلكَ**»[2].

قلتُ: قدْ قضى الله كلَّ شيءٍ كانَ على رسولِ الله ﷺ، فلمْ يبقَ شيءٌ.

قالَ: «**أفضلَ شيءٍ؟**».

قلتُ: نعمْ.

قالَ: «**انظرْ أنْ تريحني منهُ**[3]، **فإنّي لستُ بداخلٍ على أحدٍ منْ أهلي حتّى تريحني منهُ**».

---

(١) عقلُ الدابّة: ربطها بالعقال، وهو الحبل الذي تربط به الإبل ونحوها.

(٢) أيْ: ما حال ما عندكَ منَ المال هلْ قضَي الدّين أمْ لا؟

(٣) أيْ: تفرغ قلبي منهُ بأنْ تنفّقهُ على مصارفه.

فلمْ يأتنا أحدٌ حتّى أمسينا، فلمّا صلّى رسولُ الله ﷺ العتمةَ دعاني.

فقالَ: «**ما فعلَ الّذي قبلكَ؟**».

قلتُ: هوَ معي لمْ يأتنا أحدٌ.

فباتَ رسولُ الله ﷺ في المسجدِ حتّى أصبحَ، وظلَّ فى المسجدِ اليومَ الثّاني.

حتّى كانَ في آخرِ النّهارِ جاءَ راكبانِ، فانطلقتُ بهما، فكسوتهما، وأطعمتهما.

حتّى إذا صلّى العتمةَ، دعاني.

قالَ: «**ما فعلَ الّذي قبلكَ؟**».

قلتُ: قدْ أراحكَ الله منهُ يا رسولَ الله.

فكبّرَ، وحمدَ الله، شفقاً منْ أنْ يدركهُ الموتُ، وعندهُ ذلكَ.

ثمَّ اتّبعتهُ حتّى إذا جاءَ أزواجهُ، فسلّمَ على امرأةٍ امرأةٍ، حتّى أتى مبيتهُ.

فهذا الّذي سألتني عنهُ[1].

وكان النبي ﷺ يتفقّدُ من غاب من أصحابه:

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ الله أنّهُ قالَ: لمّا نزلتْ هذهِ الآيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إلى آخرِ الآيةِ، جلسَ ثابتُ بنُ قيسٍ في بيتهِ، وقالَ: أنا منْ أهلِ النّارِ، واحتبسَ عنِ النّبيِّ ﷺ.

فسألَ النّبيُّ ﷺ سعدَ بنَ معاذٍ، فقالَ: «**يا أبا عمرٍو، ما شأنُ ثابتٍ؟ اشتكى؟**».

قالَ سعدٌ: إنّهُ لجاري، وما علمتُ لهُ بشكوى.

قالَ: فأتاهُ سعدٌ، فذكرَ لهُ قولَ رسولِ الله ﷺ، فقالَ ثابتٌ: أنزلتْ هذهِ الآيةُ، ولقدْ علمتمْ أنّي منْ أرفعكمْ صوتاً على رسولِ الله ﷺ، فأنا منْ أهلِ النّارِ.

---

(١) رواه أبو داود [٣٠٥٥]، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [٣٠٥٥].

فذكرَ ذلكَ سعدٌ للنّبيِّ ﷺ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**بلْ هوَ منْ أهلِ الجنّةِ**»[١].

وعنْ قرّةَ بنِ إياسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلاً أتى النّبيَّ ﷺ، ومعهُ ابنٌ لهُ، فقالَ لهُ: «**أتحبّهُ؟**» فقالَ: «**أحبّكَ الله كما أحبّهُ**». فماتَ، ففقدهُ، فسألَ عنهُ، فقالَ لأبيهِ: «**أما يسرّكَ أنْ لا تأتيَ باباً منْ أبوابِ الجنّةِ إلّا وجدتهُ عندهُ يسعى يفتحُ لكَ؟**»[٢].

وكان ذلك التفقّد يتأكّد في الأوقات الحرجة:

عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني رسولُ الله ﷺ يومَ أحد؛ لطلبِ سعدِ بنِ الربيع، وقال لي: «**إنْ رأيتهُ فأقرئهُ منّي السّلامَ، وقلْ لهُ: يقولُ لكَ رسولُ الله ﷺ: كيفَ تجدكَ؟**».

فجعلتُ أطوفُ بين القتلى، فأصبته وهو في آخرِ رمقٍ، وبه سبعون ضربةً ما بين طعنةٍ برمحٍ، وضربةٍ بسيفٍ، ورميةٍ بسهمٍ.

فقلتُ له: يا سعدُ، إن رسولَ الله ﷺ يقرأُ عليك السلام، ويقولُ لك: أخبرني كيف تجدك؟.

قال: على رسولِ الله ﷺ، وعليك السلامُ.

قل له: يا رسول الله، أجدُ ريحَ الجنة.

وقلْ لقومي الأنصارِ: لا عذرَ لكم عندَ الله إن خلصَ إلى رسول الله ﷺ، وفيكم شفرٌ يطرفُ[٣]. وفاضتْ نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ[٤].

وهذا اشتغال واهتمام منهُ ﷺ بأصحابِهِ، وبحثه عنْ منْ فقدَ منهمْ بعدَ الموتِ، ليعلمَ ما خبرهُ، وما الّذي غيّبهُ[٥].

---

(١) رواه البخاري [٣٦١٣]، ومسلم [١١٩].

(٢) رواه النسائي [١٨٧٠]، وأحمد [١٩٨٥٢]، وزاد: فقال رجل: يا رسول الله! ألله خاصة أو لكلنا؟ قال: «بل لكلّكم». وصححه الألباني في أحكام الجنائز [١١١].

(٣) شفر العين: ما نبت عليه الشعر، وأصل منبت الشعر في الجفن.

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة [٣ / ٢٦٩] وذكره مالك في الموطأ [٨٨٤] بنحوه عن يحيى بن سعيد معضلا، وقال ابن عبد البر: «هذا الحديث لا أحفظه، ولا أعرفه إلا عند أهل السير، فهو عندهم مشهور معروف». التمهيد [٢٤ / ٩٤].

(٥) المنتقى شرح الموطأ [٣/ ٦٨].

وقولـه (أجـد ريح الجنة): يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة بأن يكون شـم رائحة طيبة زائدة على ما يعهده، فعرف أنها الجنة.

ويحتمـل أن يكـون أطلق ذلك باعتبار ما عنـده من اليقين، حتـى كأن الغائب عنه صار محسوسا عنده[١].

وكان رسول الله ﷺ يفدّي بعضهم بأبيه وأمه:

عـن سـعدِ بنِ أبي وقّاصٍ قال: نثـلَ لي النّبيُّ ﷺ كنانتهُ[٢] يومَ أحدٍ فقـالَ: «**ارمِ فداكَ أبي وأمّي**»[٣].

وهذه كلمةٌ تقولها العربُ على الترحيبِ أي: لو كان لي إلى الفداءِ سبيلٌ؛ لفديتك بأبويَّ اللذين هما عزيزانِ عندي.

وفي رواية مسلم عنْ سعدٍ أنَّ النّبيَّ ﷺ جمعَ لهُ أبويهِ يومَ أحدٍ.

قالَ: كانَ رجلٌ منْ المشركينَ قدْ أحرقَ المسلمينَ[٤]. فقالَ لهُ النّبيُّ ﷺ: «**ارمِ فداكَ أبي وأمّي**».

فنزعتُ لهُ بسهمٍ ليسَ فيهِ نصلٌ، فأصبتُ جنبهُ، فسقطَ، فانكشفتْ عورتهُ.

فضحكَ رسولُ الله ﷺ حتّى نظرتُ إلى نواجذِهِ.

«فضحكَ» أيْ: فرحاً بقتلهِ عدوّهُ، لا لانكشافهِ[٥].

وعنْ عبدِ الله بنِ الزّبيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كنتُ يومَ الأحزابِ[٦] جعلتُ أنا وعمرُ بنُ أبي سلمةَ في الأطم الّذي فيهِ النّسوة[٧].

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد [٤ / ٢٤٧].

(٢) أي: استخرج ما فيها من النبل

(٣) رواه البخاري [٤٠٥٥]، ومسلم [٢٤١٢].

(٤) أيْ: أثخنَ فيهمْ، وعملَ فيهمْ نحو عمل النّار.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم [١٥/ ١٨٥].

(٦) لمّا حاصرتْ قريش ومنْ معها المسلمينَ بالمدينةِ.

(٧) الأطم: الحصن وجمعهُ آطام.

وكانَ يطأطئ لي مرّة فأنظر، وأطأطئ لهُ مرّة فينظر[١].

فنظرتُ، فإذا أنا بالزّبيرِ على فرسهِ يختلفُ إلى بني قريظةَ مرّتينِ أوْ ثلاثاً.

فلمّا رجعتُ قلتُ: يا أبتِ رأيتكَ تختلفُ.

قالَ: أوهلْ رأيتني يا بنيَّ.

قلتُ: نعمْ.

قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ قالَ: «**منْ يأتِ بني قريظةَ، فيأتيني بخبرهمْ؟**».

فانطلقتُ، فلمّا رجعتُ جمعَ لي رسولُ الله ﷺ أبويهِ، فقالَ: «**فداكَ أبي وأمّي**»[٢].

قال النووي: «ليسَ فيهِ حقيقةُ فداء، وإنّما هوَ كلامٌ، وإلطافٌ، وإعلام بمحبّتِهِ لهُ، ومنزلته.

وفيهِ منقبة لابنِ الزّبير؛ لجودةِ ضبطه لهذهِ القضيّة مفصّلة في هذا السّنِّ، فإنَّ ابن الزّبير ولدَ عام الهجرة في المدينة، وكانَ الخندق سنة أربع منَ الهجرة على الصّحيح، فيكون لهُ في وقت ضبطه لهذهِ القضيّة دون أربع سنينَ[٣].

وكان ﷺ يحزنُ عند وفاتهم، ويبكي عليهم:

عنْ عبدِ الله بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: أمّرَ رسولُ الله ﷺ في غزوةِ مؤتةَ زيدَ بنَ حارثةَ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنْ قتلَ زيدٌ فجعفرٌ، وإنْ قتلَ جعفرٌ فعبدُ الله بنُ رواحةَ**».

قالَ عبدُ الله: كنتُ فيهمْ في تلكَ الغزوةِ، فالتمسنا جعفرَ بنَ أبي طالبٍ، فوجدناهُ في القتلى، ووجدنا ما في جسدهِ بضعاً وتسعينَ منْ طعنةٍ ورميةٍ[٤].

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: خطبَ النّبيُّ ﷺ فقالَ: «**أخذَ الرّايةَ زيدٌ فأصيبَ، ثمَّ**

---

(١) ومعناهُ: يخفضُ لي ظهره.

(٢) رواه البخاري [٣٧٢٠]، ومسلم [٢٤١٦].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم [١٥/ ١٨٤].

(٤) رواه البخاري [٤٢٦١].

أخذها جعفرٌ فأصيبَ، ثمَّ أخذها عبدُ الله بنُ رواحةَ فأصيبَ، وعيناهُ تذرفانِ. ثمَّ أخذها خالدُ بنُ الوليدِ منْ غيرِ إمرةٍ، ففتحَ لهُ»[١].

وعنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقبّلُ عثمانَ بنَ مظعونٍ وهوَ ميّتٌ، حتّى رأيتُ الدّموعَ تسيلُ على خدّيهِ.

وفي رواية: وعيناهُ تذرفانِ[٢].

وعن المطّلب بن عبد الله قال: لمّا ماتَ عثمانُ بنُ مظعونٍ أخرجَ بجنازتهِ فدفنَ، فأمرَ النّبيُّ ﷺ رجلاً أنْ يأتيهُ بحجرٍ.

فلمْ يستطعْ حملهُ.

فقامَ إليها رسولُ الله ﷺ، وحسرَ عنْ ذراعيهِ.

قالَ المطّلبُ: قالَ الّذي يخبرني ذلكَ عنْ رسولِ الله ﷺ: كأنّي أنظرُ إلى بياضِ ذراعيْ رسولِ الله ﷺ حينَ حسرَ عنهما، ثمَّ حملها، فوضعها عندَ رأسهِ، وقالَ: «**أتعلّمُ بها قبرَ أخي، وأدفنُ إليهِ منْ ماتَ منْ أهلي**»[٣].

وعثمانَ بنَ مظعونٍ: هوَ أخو رسولِ الله ﷺ من الرضاعة، هاجرَ الهجرتينِ وشهدَ بدراً، وكانَ حرّمَ الخمرَ في الجاهليّةِ، وهوَ أوّلُ منْ ماتَ منَ المهاجرينَ بالمدينةِ في شعبانَ على رأسِ ثلاثينَ شهراً منَ الهجرةِ، وكانَ عابداً مجتهداً منْ فضلاءِ الصّحابةِ[٤].

والحديثُ يدلُّ على أنَّ تقبيلَ المسلمِ بعدَ الموتِ والبكاءَ عليهِ جائزٌ.

وقال ابن قدامة: «ولا بأس بتعليم القبر بحجرٍ أو خشبةٍ، قال أحمد: لا بأس أن يعلّم الرجل القبرَ علامةً يعرفه بها، وقد علّم النبي ﷺ قبرَ عثمان بن مظعون»[٥].

---

(١) رواه البخاري [١٢٤٦].

(٢) رواه أبو داود [٣١٦٣]، والترمذي [٩٨٩]، وابن ماجة [١٤٥٦]، وصححه الألباني في مختصر الشمائل [٢٨٠].

(٣) رواه أبو داود [٣٢٠٦] وحسنه الألباني في أحكام الجنائز [ص١٥٥].

(٤) تنظر ترجمته في: الإصابة [٤/ ٤٦١].

(٥) المغني [٢/ ١٩١].

ويستحبُّ أن يجمع الأقارب في موضع، لقوله: «**وأدفنُ إليهِ منْ ماتَ منْ أهلي**»، وكان عثمان أخوه من الرضاعة، وأول من دفن إليه إبراهيم ابنه(١).

وكان ﷺ يستشيرُ أصحابه؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال ابن بطال: «المشاورةُ سنةٌ لا يستغني عنها أحدٌ، ولو استغنيَ عنها لكان النبي ﷺ أغنى الناس عنها؛ لأن جبريلَ كان يأتيه بصوابِ الرأي من السماءِ.

وأما العزيمة والعمل فإلى الإمام لا يشركه فيه أحد؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فجعلَ العزيمةَ إليه، وجعله مشاركاً في الرأي لغيره»(٢).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما حزبَ قوماً قطُّ أمرٌ فاجتمعوا فتشاوروا فيهِ إلّا أرشدهمُ الله لأصوبهِ»(٣).

قال الشاعر:

الرّأيُ قبلَ شجاعةِ الشّجعانِ ... هوَ أوّلٌ، وهيَ المحلُّ الثّاني

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حرّةٍ ... بلغتْ منَ العلياءِ كلَّ مكانِ

وكان ﷺ يستمعُ لآرائهم، ويستجيبُ لمقترحاتهم:

عن أبي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: كنّا قعوداً حولَ رسولِ الله ﷺ معنا أبو بكرٍ وعمرُ في نفرٍ.

فقامَ رسولُ الله ﷺ منْ بينِ أظهرنا، فأبطأَ علينا، وخشينا أنْ يقتطعَ دوننا [أيْ: يصاب بمكروهِ منْ عدوٍّ]، وفزعنا.

---

(١) مرقاة المفاتيح [٥/ ٤٥٧].

(٢) شرح ابن بطال على صحيح البخاري [٥/ ٣٣٤].

(٣) روضة العقلاء [١/ ١٩٢] لابن حبان.

فقمنا، فكنتُ أوّلَ منْ فزعَ.

فخرجتُ أبتغي رسولَ الله ﷺ حتّى أتيتُ حائطاً للأنصارِ لبني النّجّارِ، فدرتُ بهِ هلْ أجدُ لهُ باباً، فلمْ أجدْ.

فإذا ربيعٌ يدخلُ في جوفِ حائطٍ منْ بئرٍ خارجةٍ -والرّبيعُ الجدولُ- فاحتفزتُ كما يحتفزُ الثّعلبُ [1]، فدخلتُ على رسولِ الله ﷺ.

فقالَ: «**أبو هريرةَ؟**».

فقلتُ: نعمْ يا رسولَ الله.

قالَ: «**ما شأنكَ؟**».

قلتُ: كنتَ بينَ أظهرنا، فقمتَ فأبطأتَ علينا، فخشينا أنْ تقتطعَ دوننا، ففزعنا، فكنتُ أوّلَ منْ فزعَ، فأتيتُ هذا الحائطَ، فاحتفزتُ كما يحتفزُ الثّعلبُ، وهؤلاءِ النّاسُ ورائي.

فقالَ: «**يا أبا هريرةَ - وأعطاني نعليهِ- اذهبْ بنعليَّ هاتينِ، فمنْ لقيتَ منْ وراءِ هذا الحائطِ يشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله مستيقناً بها قلبهُ؛ فبشّرهُ بالجنّةِ**»[2]. فكانَ أوّلَ منْ لقيتُ عمرُ، فقالَ: ما هاتانِ النّعلانِ يا أبا هريرةَ؟.

فقلتُ: هاتانِ نعلا رسولِ الله ﷺ بعثني بهما، منْ لقيتُ يشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله مستيقناً بها قلبهُ بشّرتهُ بالجنّةِ.

فضربَ عمرُ بيدهِ بينَ ثدييَّ؛ فخررتُ لاستي[3]. فقالَ: ارجعْ يا أبا هريرةَ.

فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ، فأجهشتُ بكاءً.

---

(١) أي: تضامتُ؛ ليسعني المدخل

(٢) إعطاؤهُ النّعلينِ؛ لتكونَ علامة ظاهرة معلومة عندهمْ يعرفونَ بها أنّهُ لقيَ النّبيَّ ﷺ، ويكون أوقع في نفوسهمْ لما يخبرهمْ بهِ عنهُ ﷺ، ولا ينكر كون مثل هذا يفيد تأكيداً، وإنْ كانَ خبره مقبولاً منْ غير هذا.

(٣) دفع عمر رضي الله عنه لهُ لمْ يقصد بهِ سقوطه وإيذاؤهُ بلْ قصد ردّهُ عمّا هوَ عليهِ، وضربَ بيدهِ في صدره ليكونَ أبلغَ في زجره.

وركبني عمرُ [١]، فإذا هوَ على أثري.

فقالَ لي رسولُ الله ﷺ: «**ما لكَ يا أبا هريرةَ**».

قلتُ: لقيتُ عمرَ، فأخبرتهُ بالّذي بعثتني به، فضربَ بينَ ثدييَّ ضربةً خررتُ لاستي، وقالَ ارجعْ.

فقالَ لهُ رسولُ الله: «**يا عمرُ ما حملكَ على ما فعلتَ**».

قالَ: يا رسولَ الله بأبي أنتَ وأمّي، أبعثتَ أبا هريرةَ بنعليكَ منْ لقيَ يشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله مستيقناً بها قلبهُ بشّرهُ بالجنّةِ.

قالَ: «**نعمْ**».

قالَ: فلا تفعلْ؛ فإنّي أخشى أنْ يتّكلَ النّاسُ عليها، فخلّهمْ يعملونَ.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «**فخلّهمْ**»[٢].

فأقرَّ ﷺ عمر على قوله، وقبل اقتراحه.

«وليسَ فعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومراجعته النّبيّ ﷺ اعتراضاً عليهِ وردّاً لأمرِهِ، إذْ ليسَ فيما بعثَ بهِ أبا هريرة غير تطييب قلوب الأمّة وبشراهمْ، فرأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ كتم هذا أصلحَ لهمْ وأحرى أنْ لا يتّكلوا، وأنّهُ أعود عليهمْ بالخيرِ منْ معجّل هذهِ البشرى. فلمّا عرضهُ على النّبيّ ﷺ صوّبهُ فيهِ»[٣].

من فوائد الحديث:

فيهِ: جلوس العالم لأصحابهِ، ولغيرهمْ منَ المستفتينَ، وغيرهمْ، يعلّمهمْ، ويفيدهمْ، ويفتيهمْ.

وفيهِ: أنّهُ إذا أرادَ ذكر جماعة كثيرة فاقتصرَ على ذكر بعضهمْ ذكر أشرافهمْ أوْ بعض أشرافهمْ، ثمَّ قالَ: وغيرهمْ.

---

(١) تبعني ومشى خلفي في الحال بلا مهلة.

(٢) رواه مسلم [٣١].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم [١/ ٢٣٨].

وفيهِ: بيانُ ما كانتْ الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليهِ منَ القيام بحقوقِ رسول الله ﷺ، وإكرامه، والشّفقة عليهِ، والانزعاج البالغ لما يطرقهُ ﷺ.

وفيهِ: اهتمامُ الأتباع بحقوقِ متبوعهمْ، والاعتناء بتحصيلِ مصالحه، ودفع المفاسد عنهُ.

وفيهِ: جواز دخول الإنسان ملك غيره بغيرِ إذنه إذا علمَ رضاه بذلكَ؛ لمودّةٍ بينهما أوْ غير ذلكَ؛ فإنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخلَ الحائط، وأقرّهُ النّبيّ ﷺ على ذلكَ، ولمْ ينقل أنّهُ أنكرَ عليهِ.

وهذا غير مختصٍّ بدخولِ الأرض بلْ يجوز لهُ الانتفاع بأدواتهِ، وأكل طعامه، والحمل منْ طعامه إلى بيته، وركوب دابّته، ونحو ذلكَ منَ التّصرّف الّذي يعلم أنّهُ لا يشقّ على صاحبه.

وفيهِ: أنَّ الإيمان المنجي منَ الخلود في النّار لا بدّ فيهِ منْ الاعتقاد والنّطق.

وفيهِ: جواز إمساك بعض العلوم الّتي لا حاجة إليها؛ لمصلحةٍ أوْ خوف المفسدة.

وفيهِ: إشارة بعض الأتباع على المتبوع بما يراهُ مصلحة، وموافقة المتبوع لهُ إذا رآهُ مصلحة، ورجوعه عمّا أمرَ بهِ بسببهِ.

وفيهِ: جواز قول الرّجل للآخرِ بأبي أنتَ وأمّي[1].

ويوم بدرٍ نزل رسول الله ﷺ على رأي أحدِ أصحابه.

بلغ رسول الله ﷺ بدراً، ونزل بها.

فقال الحبابُ بن المنذر: يا رسول الله، أرأيتَ هذا المنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نقدمه، ولا نتأخّر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال: «**بلْ هوَ الرّأيُ والحربُ والمكيدةُ**».

فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزلٍ؛ فانهض بالناسِ حتى نأتيَ أدنى ماءٍ من القومِ،

(١) شرح النووي على صحيح مسلم [١/ ٢٣٨].

فننزلـه، ثم تغوّرَ مـا وراءه من القلبِ[١] ثم نبني عليه حوضاً، فنملـؤه ماءً، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله ﷺ: «**لقدْ أشرتَ بالرّأيِ**».

فنهضَ رسـولُ الله ﷺ، ومن معهُ من الناس، فسـارَ حتى إذا أتى أدنى ماءٍ من القومِ نزل عليـه، ثم أمر بالقلبِ فغوّرتْ، وبني حوضـاً على القلبِ الذي نزل فملئَ ماءً، ثم قذفوا فيه الآنية[٢].

ويوم أحدٍ نزل رسول الله ﷺ عن رأيه إلى رأيهم.

فعنْ عبد الله بن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ «تنفّلَ رسـول الله ﷺ سـيفه ذا الفقار يوم بدر، وهوَ الّذي رأى فيهِ الرّؤيا يوم أحد.

وذلـكَ أنَّ رسـول الله ﷺ لمّا جـاءهُ المشركونَ يوم أحد كانَ رأيُ رسـول الله ﷺ أنْ يقيم بالمدينةِ، فيقاتلهمْ فيها، فقالَ لهُ ناس لمْ يكونوا شـهدوا بدراً: اخرجْ بنا يا رسـول الله إليهمْ؛ نقاتلهمْ بأحدٍ، ونرجو أنْ نصيب منَ الفضيلة ما أصابَ أهل بدر.

فما زالوا برسـولِ الله ﷺ حتّى لبسَ لأمته، فلمّا لبسـها ندموا، وقالوا: يا رسـول الله أقمْ، فالـرّأي رأيـك، فقالَ: «**ما ينبغي لنبـيٍّ أنْ يضع أداته بعد أنْ لبسـها حتّى يحكم الله بينه وبين عدوّهُ..**». الحديث[٣].

وفي حادثـة الإفك استشـار أصحابه: عنْ عائشـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: لمّا ذكرَ منْ شـأني الّذي ذكرَ وما علمتُ بهِ قامَ رسـولُ الله ﷺ فيَّ خطيباً، فتشـهّدَ فحمدَ الله وأثنى عليهِ بما هوَ أهلهُ، ثمَّ قالَ: «**أمّا بعدُ أشـيروا عليَّ في أناسٍ أبنوا أهلي**[٤]، **وايمُ الله ما علمتُ على أهلي منْ سـوءٍ،**

---

(١) أي: الآبار.

(٢) السير النبوية [٣/ ١٦٧] لابن هشام، وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الحاكـم [٢٥٨٨]، وصححـه ووافقه الذهبي، وعلّقه البخاري في كتاب الاعتصام باب قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

(٤) أي: اتهموها.

وأبنوهـمْ بمـنْ والله ما علمتُ عليهِ منْ سـوءٍ قطُّ، ولا يدخلُ بيتي قـطُّ إلّا وأنا حاضرٌ، ولا غبتُ في سفرٍ إلّا غابَ معي»...الحديث[١].

وكان النبيُّ ﷺ يهتمُّ بشؤون أصحابه، ويرثي لحال بعضهم، ويحزن لذلك:

فلقد تحمّل الصحابةُ الكرامُ رضوان الله عليهم من المشـقّة والجهدِ ما لا يخفى خصوصاً مـن كان قبلَ الإسـلامِ في ترفٍ من العيشِ، فهذا مصعب بنُ عمـير رضي الله عنه ترك الدنيا كلّها، وترك أمّه وأهله، وهاجر إلى الله ورسوله ﷺ.

فعنْ محمّدِ بنِ كعبٍ القرظيِّ حدّثني منْ سمعَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ يقولُ:

خرجتُ في يومٍ شاتٍ منْ بيتِ رسولِ الله ﷺ جائعاً، وقد أوبقني[٢] البردُ، فأخذتُ إهاباً معطوباً[٣]، فحوّلتُ وسـطهُ، فأدخلتهُ عنقي، وشـددتُ وسـطي، فحزمتهُ بخوصِ النّخلِ، أستدفئُ به.

وإنّي لشديدُ الجوعِ، ولوْ كانَ في بيتِ رسولِ الله ﷺ طعامٌ؛ لطعمتُ منهُ.

فخرجتُ ألتمسُ شيئاً.

فمررتُ بيهوديٍّ في مالٍ لهُ، وهوَ يسقي ببكرةٍ لهُ[٤].

فاطّلعتُ عليهِ منْ ثلمةٍ في الحائطِ.

فقالَ: ما لكَ يا أعرابيُّ، هلْ لكَ في كلِّ دلوٍ بتمرةٍ.

قلتُ: نعمْ، فافتحْ البابَ حتّى أدخلَ.

ففتحَ، فدخلتُ، فأعطاني دلوهُ.

فكلّما نزعتُ دلواً أعطاني تمرةً، حتّى إذا امتلأتْ كفّي أرسلتُ دلوهُ، وقلتُ حسبي.

---

(١) رواه الترمذي [٣١٨٠]، وأصله في الصحيحين البخاري [٤١٤١]، ومسلم [٢٧٧٠].

(٢) أهلكني.

(٣) هوَ الجلد المتمزّقُ الشّعرِ.

(٤) هيَ خشبةٌ مستديرةٌ في وسطها محزٌّ يستسقى عليها الماءُ.

فأكلتها، ثمَّ جرعتُ منَ الماءِ فشربتُ.

ثمَّ جئتُ المسجدَ، فوجدتُ رسولَ الله ﷺ فيهِ.

وإنّا لجلوسٌ معَ رسولِ الله ﷺ في المسجدِ إذْ طلعَ مصعبُ بنُ عميرٍ ما عليهِ إلّا بردةٌ لهُ مرقوعةٌ بفروٍ(١).

فلمّا رآهُ رسولُ الله ﷺ بكى للّذي كانَ فيهِ منَ النّعمةِ، والّذي هوَ اليومَ فيهِ.

ثمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ: «**كيفَ بكمْ إذا غدا أحدكمْ في حلّةٍ، وراحَ في حلّةٍ(٢)، ووضعتْ بينَ يديهِ صحفةٌ، ورفعتْ أخرى(٣)، وسترتمْ بيوتكمْ كما تسترُ الكعبةُ؟**»(٤). قالوا: يا رسولَ الله نحنُ يومئذٍ خيرٌ منّا اليومَ، نتفرّغُ للعبادةِ، ونكفى المؤنةَ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**لأنتمْ اليومَ خيرٌ منكمْ يومئذٍ**»(٥).

وكان يطيب خاطرهم إذا لم يعطهم لأجل المصلحة:

عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لمّا أعطى رسولُ الله ﷺ ما أعطى منْ تلكَ العطايا في قريشٍ، وقبائلِ العربِ، ولمْ يكنْ في الأنصارِ منها شيءٌ وجدَ هذا الحيُّ منَ الأنصارِ في أنفسهمْ حتّى كثرتْ فيهمُ القالةُ حتّى قالَ قائلهمْ لقيَ رسولُ الله ﷺ قومهُ، فدخلَ عليهِ سعدُ بنُ عبادةَ، فقالَ: يا رسولَ الله، إنَّ هذا الحيَّ قدْ وجدوا عليكَ في أنفسهمْ؛ لما صنعتَ في هذا الفيءِ الّذي أصبتَ قسمتَ في قومكَ، وأعطيتَ عطايا عظاماً في قبائلِ العربِ، ولمْ يكنْ في هذا الحيِّ منَ الأنصارِ شيءٌ.

---

(١) أيْ بجلد، ومصعب بن عمير قرشيٌّ هاجرَ إلى النّبيِّ ﷺ وتركَ النّعمةَ والأموالَ بمكّةَ، وهوَ منْ كبارِ أصحابِ الصّفّةِ، وكانَ منْ أجلّةِ الصّحابةِ وفضلائهمْ، وكانَ في الجاهليّةِ منْ أنعمِ النّاسِ عيشاً وألينهمْ لباساً، فلمّا أسلمَ زهدَ في الدّنيا.

(٢) أيْ: كيفَ يكونُ حالكمْ إذا كثرتْ أموالكمْ بحيثُ يلبسُ كلٌّ منكمْ أوّلَ النّهارِ حلّةً وآخرهُ أخرى منْ غايةِ التّنعّمِ.

(٣) وهوَ كنايةٌ عنْ كثرةِ أصنافِ الأطعمةِ الموضوعةِ على الأطباقِ بيَن يديْ المتنعّميَن.

(٤) والمعنى زيّنتموها بالثّيابِ النّفيسةِ منْ فرطِ التّنعّمِ.

(٥) أيْ: ليسَ الأمرُ كما ظننتمْ؛ لأنَّ الغنيَّ يشتغلُ بدنياهُ، ولا يتفرّغُ للعبادةِ مثلُ منْ لهُ كفافٌ؛ لكثرةِ اشتغالهِ بتحصيلِ المالِ. والحديث رواه الترمذي [٢٤٧٣] [٢٤٧٦] وحسنه، وضعفه الألباني

قالَ: «**فأينَ أنتَ منْ ذلكَ يا سعدُ؟**».

قالَ: يا رسولَ الله ما أنا إلّا امرؤٌ منْ قومي، وما أنا.

قالَ: «**فاجمعْ لي قومكَ في هذهِ الحظيرةِ**».

قالَ: فخرجَ سعدٌ، فجمعَ النّاسَ في تلكَ الحظيرةِ.

قالَ: فجاءَ رجالٌ منَ المهاجرينَ، فتركهمْ، فدخلوا، وجاءَ آخرونَ، فردّهمْ.

فلمّا اجتمعوا أتاهُ سعدٌ، فقالَ: قدِ اجتمعَ لكَ هذا الحيُّ منَ الأنصارِ.

قالَ: فأتاهمْ رسولُ الله ﷺ، فحمدَ الله وأثنى عليهِ بالّذي هوَ لهُ أهلٌ، ثمَّ قالَ: «**يا معشرَ الأنصارِ، ما قالةٌ بلغتني عنكمْ وجدةٌ وجدتموها في أنفسكمْ؟ ألمْ آتكمْ ضلّالاً، فهداكمُ اللهُ، وعالةً، فأغناكمُ اللهُ، وأعداءً، فألّفَ الله بينَ قلوبكمْ؟**».

قالوا: بلِ الله ورسولهُ أمنُّ وأفضلُ.

قالَ: «**ألا تجيبونني يا معشرَ الأنصارِ؟**».

قالوا: وبماذا نجيبكَ يا رسولَ الله، ولله ولرسولهِ المنُّ والفضلُ؟

قالَ: «**أما والله لوْ شئتمْ؛ لقلتمْ، فلصدقتمْ، وصدّقتمْ أتيتنا مكذّباً، فصدّقناكَ، ومخذولاً، فنصرناكَ، وطريداً، فآويناكَ، وعائلاً فأغنيناكَ. أوجدتمْ في أنفسكمْ يا معشرَ الأنصارِ في لعاعةٍ منَ الدّنيا تألّفتُ بها قوماً؛ ليسلموا ووكلتكمْ إلى إسلامكمْ؟**

أفلا ترضونَ يا معشرَ الأنصارِ أنْ يذهبَ النّاسُ بالشّاةِ والبعيرِ، وترجعونَ برسولِ الله ﷺ في رحالكمْ؟

فوالّذي نفسُ محمّدٍ بيدهِ لولا الهجرةُ لكنتُ امرأً منَ الأنصارِ، ولوْ سلكَ النّاسُ شعباً، وسلكتِ الأنصارُ شعباً؛ لسلكتُ شعبَ الأنصارِ.

اللهمَّ ارحمِ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ».

قالَ: فبكى القومُ حتّى أخضلوا لحاهمْ، وقالوا: رضينا برسولِ الله قسماً وحظّاً.

ثمَّ انصرفَ رسولُ الله ﷺ، وتفرّقنا[١].

وكان يدرك الصفاتِ الخاصّة التي يتمتّع بها أصحابه:

فكان يدركُ ما يتمتّعُ به كلُّ واحد منهم من صفات تميزه عن الآخر، وهو القائل: «**أرحمُ أمّتي بأمّتي أبو بكرٍ، وأشدّهمْ في أمرِ الله عمرُ، وأصدقهمْ حياءً عثمانُ، وأقضاهمْ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأعلمهمْ بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، وأفرضهمْ زيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرؤهمْ لكتابِ الله أبيُّ بنُ كعبٍ، ألا وإنَّ لكلِّ أمّةٍ أميناً وأمينُ هذهِ الأمّةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرّاحِ**»[٢].

«**أرحمُ أمّتي بأمّتي أبو بكرٍ**» أي: أكثرهم رأفةً أبو بكر؛ لأن شأنه العطفُ، والرحمةُ، واستعمالُ اللينِ مع الكبير والصغير.

«**وأشدّهمْ في أمرِ الله عمرُ**» أي: أقواهم صرامةً، وأصلبهم شكيمةً، ووصفَ عمرُ بالقوة في الدين، فالشيطانُ لا يسلكُ الطريقَ الذي فيه عمر؛ كما قال النبي ﷺ: «**إيهٍ يا ابنَ الخطّابِ، والّذي نفسي بيدهِ ما لقيكَ الشّيطانُ سالكاً فجّاً إلّا سلكَ فجّاً غيرَ فجّكَ**»[٣].

«**وأصدقهمْ حياءً عثمانُ**» من الله ومن الخلقِ، فكانَ يستحي حتى من حلائله وفي خلوته، ولشدّةِ حيائه كانت تستحي منه ملائكةُ الرحمنِ.

«**وأقضاهمْ عليُّ بنُ أبي طالبٍ**» أي: أعرفهم بالقضاءِ.

«**وأفرضهمْ زيدُ بنُ ثابتٍ**» أي: أكثرهم علماً بمسائل قسمة المواريث، وهو علمُ الفرائض.

«**وأقرؤهمْ لكتابِ الله أبيُّ بنُ كعبٍ**» أي: أعلمهم بقراءةِ القرآن، أو أنه أتقنهم للقرآنِ، وأحفظهم له.

«**وأعلمهمْ بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ**» أي: بمعرفةِ ما يحلُّ ويحرم من الأحكام.

---

(١) رواه أحمد [١١٣٢٢]، وقال الهيثمي: «ورجالُ الرّوايةِ الأولى لأحمدَ رجالُ الصّحيحِ غيرَ محمّدِ بنِ إسحاقَ، وقدْ صرّحَ بالسّماعِ». مجمع الزوائد [١٠/ ٣٠]، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٢) رواه الترمذي [٣٧٩٠]، وابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة [١٢٢٤].

(٣) رواه البخاري [٦٠٨٥]، ومسلم [٢٣٩٧] عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**وأمينُ هذهِ الأمّةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرّاحِ**» أي: يأتمنونه، ويثقون به، ولا يخافون غائلته، فهو أشدّهم محافظةً على الأمانةِ، وتباعداً عن مواقع الخيانة[١].

فخصَّ النّبيُّ ﷺ كلَّ واحدٍ منَ الكبار بفضيلةٍ ووصفهُ بها، فأشعرَ بقدرٍ زائد فيها على غيره، كالحياءِ لعثمان، والقضاء لعليٍّ، ونحو ذلكَ[٢].

وقال ﷺ عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ما أظلّتْ الخضراءُ، ولا أقلّتْ الغبراءُ**[٣]**، منْ ذي لهجةٍ أصدقَ لهجةً منْ أبي ذرٍّ، شبهِ عيسى ابنِ مريمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ».

فقالَ عمرُ بنُ الخطّابِ -كالحاسدِ[٤]-: يا رسولَ الله، أفتعرفُ ذلكَ لهُ؟

قالَ: «**نعمْ، فاعرفوهُ لهُ**»[٥].

وقال ﷺ: «**منْ سرّهُ أنْ ينظرَ إلى تواضعِ عيسى ابنِ مريمَ؛ فلينظرْ إلى أبي ذرٍّ**»[٦].

وكان النبي ﷺ يراعي الصفات الخاصّة لكل واحدٍ من أصحابه، فيعاملهم بمقتضى ذلك.

وقد راعى صفةَ الغيرة في عمر: كما في حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: بينا نحنُ عندَ رسولِ الله ﷺ إذْ قالَ: «**بينا أنا نائمٌ، رأيتني في الجنّةِ، فإذا امرأةٌ تتوضّأُ إلى جانبِ قصرٍ.**

فقلتُ: لمنْ هذا القصرُ؟

فقالوا: لعمرَ بنِ الخطّابِ، فأردتُ أنْ أدخلهُ فأنظرَ إليهِ، فذكرتُ غيرتكَ، فولّيتُ مدبراً».

فبكى عمرُ وقالَ: أعليكَ أغارُ يا رسولَ الله؟[٧].

---

(١) ينظر: فيض القدير [١/ ٥٨٩، ٥٨٨].

(٢) فتح الباري [١١/ ٤٤].

(٣) الخضراءُ: السّماءُ، والعرب تطلقُ الأخضَر على كل لون ليس بأبيض ولا أحمر، والغبراءُ: أيْ الأرضُ

(٤) أيْ: على طريقةِ الغبطةِ.

(٥) رواه الترمذي [٣٨٠٢] عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني.

(٦) رواه ابن أبي شيبة [٣٢٩٣٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٦٢٩٢].

(٧) رواه البخاري [٣٢٤٢]، ومسلم [٢٣٩٥].

وفي هذا الحديث ما كانَ عليهِ النّبيّ ﷺ منْ مراعاة الصّحبة.

وفيهِ: فضيلة ظاهرة لعمر.

وفيهِ: الحكم لكلِّ رجل بما يعلم منْ خلقه[١].

وراعى الحياءَ في عثمان، كما قالت عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كانَ رسولُ الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عنْ فخذيهِ، أوْ ساقيهِ.

فاستأذنَ أبو بكرٍ، فأذنَ لهُ وهوَ على تلكَ الحالِ، فتحدّثَ.

ثمَّ استأذنَ عمرُ، فأذنَ لهُ وهوَ كذلكَ، فتحدّثَ.

ثمَّ استأذنَ عثمانُ، فجلسَ رسولُ الله ﷺ، وسوّى ثيابهُ، فدخلَ، فتحدّثَ.

فلمّا خرجَ قالتْ عائشةُ: دخلَ أبو بكرٍ، فلمْ تهتشَّ لهُ، ولمْ تباليهِ، ثمَّ دخلَ عمرُ، فلمْ تهتشَّ لهُ، ولمْ تباليهِ، ثمَّ دخلَ عثمانُ، فجلستَ، وسوّيتَ ثيابكَ؟!

فقالَ: «**ألا أستحي منْ رجلٍ تستحي منهُ الملائكةُ؟!**»[٢].

فيهِ: فضيلةٌ ظاهرةٌ لعثمان، وجلالته عند الملائكة، وأنَّ الحياءَ صفةٌ جميلةٌ منْ صفات الملائكة»[٣].

وكان يبشّرهم بحسن العاقبة:

كما في حديث أنسَ بنَ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النّبيَّ ﷺ صعدَ أحداً وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فرجفَ بهمْ، فقالَ: «**اثبتْ أحدُ، فإنّما عليكَ نبيٌّ، وصدّيقٌ، وشهيدانِ**»[٤].

والمعنى: عليك نبيٌّ، وصدّيقٌ وهوَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشهيدانِ: أيْ: عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتحرّك أحد كانَ منَ المباهاة[٥].

---

(١) فتح الباري [٧/ ٤٥]، شرح ابن بطال على صحيح البخاري [٩/ ٥٤٤].

(٢) رواه مسلم [٢٤٠١].

(٣) شرح النووي [٨/ ١٤١].

(٤) رواه البخاري [٣٦٧٥].

(٥) عون المعبود [١٠/ ١٦٨].

وكان يبشّرهم بالجنة، ويبيّنُ تفاضلهم فيها:

عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّهُ توضّأَ في بيتِهِ ثمَّ خرجَ، فقلتُ: لألزمنَّ رسولَ الله ﷺ، ولأكوننَّ معهُ يومي هذا.

فجاءَ المسجدَ، فسألَ عنْ النّبيِّ ﷺ.

فقالوا: خرجَ، ووجّهَ ها هنا.

فخرجتُ على إثرِهِ أسألُ عنهُ، حتّى دخلَ بئرَ أريسٍ[1]، فجلستُ عندَ البابِ، وبابها منْ جريدٍ، حتّى قضى رسولُ الله ﷺ حاجتهُ.

فتوضّأَ.

فقمتُ إليهِ، فإذا هوَ جالسٌ على بئرِ أريسٍ وتوسّطَ قفّها[2]، وكشفَ عنْ ساقيهِ، ودلاّهما في البئرِ.

فسلّمتُ عليهِ، ثمَّ انصرفتُ، فجلستُ عندَ البابِ، فقلتُ: لأكوننَّ بوّابَ رسولِ الله ﷺ اليومَ.

فجاءَ أبو بكرٍ فدفعَ البابَ، فقلتُ: منْ هذا؟

فقالَ: أبو بكرٍ.

فقلتُ: على رسلكَ.

ثمَّ ذهبتُ، فقلتُ يا رسولَ الله: هذا أبو بكرٍ يستأذنُ.

فقالَ: «**ائذنْ لهُ، وبشّرهُ بالجنّةِ**».

فأقبلتُ حتّى قلتُ لأبي بكرٍ: ادخلْ، ورسولُ الله ﷺ يبشّركَ بالجنّةِ.

فحمدَ اللهَ.

---

(١) بستان بالمدينةِ معروف، وهوَ بالقربِ منْ قباء، وفي بئرها سقطَ خاتم النّبيّ ﷺ منْ إصبع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: حافّة البئر.

فدخلَ أبو بكرٍ، فجلسَ عنْ يمينِ رسولِ الله ﷺ معهُ في القفِّ، ودلّى رجليهِ في البئرِ كما صنعَ النّبيُّ ﷺ، وكشفَ عنْ ساقيهِ.

ثمَّ رجعتُ، فجلستُ وقدْ تركتُ أخي يتوضّأُ، ويلحقني، فقلتُ: إنْ يردِ الله بفلانٍ خيراً يريدُ أخاهُ يأتِ بهِ.

فإذا إنسانٌ يحرّكُ البابَ، فقلتُ: منْ هذا؟

فقالَ: عمرُ بنُ الخطّابِ.

فقلتُ: على رسلكَ.

ثمَّ جئتُ إلى رسولِ الله ﷺ، فسلّمتُ عليهِ، فقلتُ: هذا عمرُ بنُ الخطّابِ يستأذنُ.

فقالَ: «**ائذنْ لهُ، وبشّرهُ بالجنّةِ**».

فجئتُ فقلتُ: ادخلْ، وبشّركَ رسولُ الله ﷺ بالجنّةِ.

فحمدَ اللهَ.

فدخلَ، فجلسَ معَ رسولِ الله ﷺ في القفِّ عنْ يسارهِ، ودلّى رجليهِ في البئرِ.

ثمَّ رجعتُ، فجلستُ فقلتُ: إنْ يردِ الله بفلانٍ خيراً يأتِ بهِ.

فجاءَ إنسانٌ يحرّكُ البابَ.

فقلتُ: منْ هذا؟

فقالَ: عثمانُ بنُ عفّانَ.

فقلتُ: على رسلكَ، فجئتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرتهُ.

فقالَ: **ائذنْ لهُ، وبشّرهُ بالجنّةِ على بلوى تصيبهُ**[1].

فجئتهُ فقلتُ: لهُ ادخلْ، وبشّركَ رسولُ الله ﷺ بالجنّةِ على بلوى تصيبكَ.

---

(١) أشارَ ﷺ بالبلوى المذكورة إلى ما أصابَ عثمان في آخر خلافته منَ الشّهادة يوم الدّار، وقدْ وردَ عنهُ ﷺ أصرح منْ هذا فروى أحمد [٥٩١٧] عنْ ابن عمر قالَ: ذكرَ رسول الله ﷺ فتنة، فمرَّ رجل فقالَ: يقتل فيها هذا يومئذٍ ظلماً، قالَ فنظرت فإذا هوَ عثمان. وإسناده صحيح؛ كما الحافظ في الفتح [٧/ ٣٨].

فحمدَ الله، ثمَّ قالَ: الله المستعانُ.

فدخلَ، فوجدَ القفَّ قدْ ملئَ، فجلسَ وجاههُ منَ الشّقِّ الآخرِ.

قالَ سعيدُ بنُ المسيّبِ: فأوّلتها قبورهمْ(١).

من فوائد الحديث:

فيهِ: جواز الثّناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليهِ فتنة الإعجاب ونحوه.

وفيه: فضيلة أبي بكر وعمر وعثمان، وأنهم من أهل الجنة، وفضيلة لأبي موسى.

وفيه: استحباب قول: «الله المستعان» في مثل حال عثمان.

وفيهِ: معجزةٌ ظاهرةٌ للنّبيِّ ﷺ لإخبارهِ بقصّةِ عثمان وبالبلوى، وأنَّ الثّلاثة يستمرّونَ على الإيمان والهدى(٢).

وقد بشّر عدداً منهم بالجنة، وصرّح بأسمائهم في حديث واحد، عرف بحديث العشرة المبشرين بالجنّة، فقال: «**أبو بكرٍ في الجنّةِ، وعمرُ في الجنّةِ، وعثمانُ في الجنّةِ، وعليٌّ في الجنّةِ، وطلحةُ في الجنّةِ، والزّبيرُ بنُ العوّامِ في الجنّةِ، وسعدُ في الجنّةِ، وعبدُ الرّحمنِ بنُ عوفٍ في الجنّةِ، وسعيدُ بنُ زيدٍ في الجنّةِ**»(٣).

وقال ﷺ: «**الحسنُ والحسينُ سيّدا شبابِ أهلِ الجنّةِ**»(٤).

وقال ﷺ: «**أريتُ الجنّةَ فرأيتُ امرأةَ أبي طلحةَ، ثمَّ سمعتُ خشخشةً أمامي فإذا بلالٌ**»(٥).

والمبشّرون بالجنة بالنصِّ كثيرون، وليس المقامُ مقامَ حصرهم.

---

(١) والمراد اجتماع الصّاحبين معَ النّبيّ ﷺ في الدّفن، وانفراد عثمان عنهمْ في البقيع. والحديث رواه البخاري [٣٦٧٤]، ومسلم [٢٤٠٣].

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم [١٥/ ١٧٠].

(٣) رواه أبو داود [٤٦٤٩] الترمذي [٣٧٤٨]، وابن ماجة [١٣٤] عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٤٠١٠].

(٤) رواه الترمذي [٣٧٦٨] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري [٣٦٧٩]، ومسلم [٢٤٥٧] عنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما.

فـدًى لصحابةِ المختارِ نفسي وإنَّ أحـبّـتـي لهـمُ فـداءُ
نـوقّـرهـمْ، ونتبعهمْ وفـاءً ومـنْ أخلاقهمْ عـرفَ الوفاءُ
ويحشرُ منْ يحبُّ القومَ معهمْ ولوْ منْ بعدِ عصرِ القومِ جاءوا
لقدْ صحبوا النّبيَّ، وتابعوهُ فـكـانَ لهـمْ بصحبتهِ الـعـلاءُ
وقـدّرهـمْ رسـولُ الله حتّى أشـادَ بهـمْ، وقـدْ طـابَ الثّناءُ
وأعلنَ حبّهمْ، والحبُّ يبدو فـما في قـدرهـمْ فينا خـفـاءُ
ولا يـرضـى بـذكـرهـمُ بسوءٍ فـويـلٌ لـلّـذيـنَ لهـمْ أسـاءوا
ويغضي عنهمُ ما ليسَ يغضي لـغـيرهـمُ، لـهُ بهـمُ اعـتـنـاءُ
وقـدْ كانوا سـواعـدهُ اعتماداً لهـمْ في كـلِّ نـاحـيـةٍ مـضـاءُ
يشاورهمْ، ويقبلُ ما أشـاروا وآراءُ الحـكـيـمِ لها سـنـاءُ
بـرقّـتـهِ مـشـاعـرهـمْ يـراعـي فـرحـمـتـهُ لخـاطـرهـمْ دواءُ
وإنْ غـابـوا تـفـقّـدَ غائبيهمْ فـما مـنْ أخـلاقـهِ يـومـاً جفاءُ
ويرعى أهلَ منْ قدْ ماتَ منهمْ كـذلـكـمُ المـحـبّـةُ والـوفـاءُ
لموتهمُ بكى حـزنـاً عليهمْ ليهنهمُ الـتّـرحّـمُ والـدّعـاءُ